من منشورات دار (المدى)

(صورة جماعية مع سيدة) لهاينريش بول

سعد محمد رحيم

أين يمكن أن نضع رواية (صورة جماعية مع سيدة)) للروائي الألماني هاينريش بول ؟ فهي أولاً مكتوبة بتقنية سردية متداخلة تتوزع خلالها وجهات النظر..تتكافأ وتتوازى وتتقاطع، وفي النهاية يكوّن القارئ فكرة بانورامية عن السيدة (ليني غروتن) والمحيطين بها قبل وإبان وبعد الحرب العالمية الثانية. ويحكي الراوي الأول (الضمني، إذ الرواية تسرد بضمير الغائب/ هو) عن المؤلف " الشخصية التي تحاول أن تجمع بيدها خيوط الأحداث في متن الرواية "الذي يلجأ إلى استجواب واستضافة الشخصيات التي تحتفظ في ذاكراتها بأشياء عن هذه السيدة التي بإمكاننا أن نتخيلها جالسة في وسط الصورة المزدحمة بالوجوه .. يخيل للقارئ أنه إزاء صورة قديمة بالأسود والأبيض لرجال ونساء يتحلقون حول امرأة تجلس بشكل مميز وبنظرات متهكمة، لا مبالية وأسيانة، كما لو أنها غير راغبة في أن تكون في هذا المكان. وفي جلوسها الساكن الاضطراري نسمع لغطاً وثرثرة لا ينقطعان، فالجميع يتحدث عنها، والجميع يتحدث عن الجميع، وهي وحدها الصامتة.. إننا لا نسمعها تتحدث إلا عبر الآخرين، أي ما يدّعون بأنها فعلتها أو قالتها يوماً ما أو في مناسبة ما حتى لتبدو خرساء في بعض الأحيان. وبطبيعة الحال باستثناء ما ستقوله للمؤلف قبل نهاية الرواية بقليل ((يجب أن نحاول التقدم مرة ثانية بعربة أرضية وأفراس لا أرضية)) ص ٥٥٦ .

رواية " صورة جماعية مع سيدة " مكتوبة بضمير الغائب " هو " على الرغم من أن الشخصيات تتحدث فيها بصيغة ضمير المتكلم " أنا ". إن المؤلف الذي يلاحق الحقائق الغائرة في ذاكرة الشخصيات نادراً ما يتكلم أو يعلق.. إنه يصغي أي أنه يتخذ دور (المروي له) فيما لا تتكلم ليني التي تشكل الشخصية / البؤرة إلا من خلال الآخرين.

فالرواية هذه أشبه ما تكون بمجموعة من المرايا المتقابلة، في خط دائري حيث تقف ليني في المركز منه.. إننا نراها في تلك المرايا التي لا نعلم، على وجه التحديد، إلى أي مدى هي صافية أو مشوشة.. حقيقية أو خداعة.

والقارئ يتلمس عمق الجرح النفسي الذي تعانيه كل شخصية من شخصيات الرواية، وهي تتحدث لا عن نفسها فحسب وإنما عن الآخرين ولا سيما عن ليني غروتن. فالمؤلف الضمني نجح في استدراج الرواة العديدين إلى البوح والاعتراف، سواء أولئك الذين شاركوا في الجريمة، أو أولئك الذين كانوا ضحاياها، أم حتى أولئك الذين حاولوا أن يكونوا محايدين.

يتعدد الرواة، ومن ثم يتشظى فعل الروي/ السرد، ويحتل المؤلف الضمني موقع " المروي له " مراراً، وعلى الدوام، وفي كل مرة تتبدل جغرافية الصورة، ويختل اليقين، ونكون أمام السؤال؛ من يكذب ومن يحكي الحقيقة؟. وكم من الحقيقة في كل ما يقال؟. وهل ذاكرة هؤلاء الذين يتحدثون "يحكون" دقيقة وصافية وراسخة؟. ها هنا أيضاً تكثر الاحتمالات، فنحن لسنا إزاء صورة ساكنة، المكان فيها ثابت، والزمان متوقف، بل أن الصورة تتحول وتتغير تفاصيلها، وتتنقل عناصرها، ويتسع أفقها وفضاؤها.

لا يمكننا قول أشياء كثيرة عن هذه الرواية " أحداثها وشخصياتها و أسلوب كتابتها الفريد " في هذه العجالة. والقارئ يجد صعوبة في الإمساك بالخيوط المتشابكة كلها، الخيوط الملونة الملتفة بعضها على بعضها الآخر بهارمونية خفية لا يقدر على إدراك مساراتها سوى قارئ صبور، دؤوب، متمرس في قراءة الروايات.

في هذه الرواية تتناثر التفاصيل حد الإملال أحياناً. فالكاتب يمعن في التطرق إلى كل شيء حتى تلك التي تبدو، للوهلة الأولى، بلا أهمية أو لا علاقة صميمة لها بالقصة الرئيسة " قصة ليني " وأظن أن الروائي كان واعياً ومدركاً لهذا الجانب، وأنه كان ينطلق من قصدية محددة، وهي أن تكتمل الصورة في إطارها الواسع، ونسيجها المعقد والدقيق. ولكن ما الذي دعا المؤلف " الضمني " إلى نبش تفاصيل حياة السيدة ليني، فهو لا يبوح بهدفه، غير أن بمستطاعنا التكهن دوافعه، ولا سيما إذا أخذناها بأسبابها الخارجية . أي تلك التي جعلت المؤلف الحقيقي "هاينريش بول " يكتب هذه الرواية . أي أن نفترض أن دوافع المؤلف الحقيقي والمؤلف الضمني هي نفسها. فالمؤلف في داخل الرواية ((ليس موكلاً بأي شيء، ولا يسعى أيضاً إلى أي توكيل؛ إن " الشخص المختلف عليه " لم يواجهه مرة واحدة حتى الآن مواجهة شخصية، ولم يتكلم معه إلا مرتين أو ثلاث مرات في الشارع، ولم يتكلم معه كلمة واحدة، إن مطلبه، ولو بطريقة ناقصة مجتزأة، ولكن بأقل ما يمكن من التجزؤ والنقصان، أن يستقصي حياة هذا الشخص، ومهمته . مهمة المؤلف . ليست ممنوحة من قبل سلطة أرضية دنيوية ولا من قبل سلطة سماوية غير دنيوية، إنها وجودية.)) ص ٥٠٦ .

ينتمي هاينريش بول إلى مجموعة كتّاب ما بعد الحرب العالمية الثانية الذين كانوا شهوداً على المأساة.. على الحيوية الألمانية الصاعدة بطاقتها السلبية الضالة المهلكة التي انتهت بالتلاشي والسقوط المدوي. وهذه الرواية " صورة جماعية مع سيدة " كانت مناسبة لمنح جائزة نوبل للآداب لمؤلفها في العام ١٩٧٢وهو أول كاتب ألماني يحصل عليها بعد الحرب.

تذكّرنا رواية " صورة جماعية مع سيدة " بروايات ألمانية أخرى مثل " ولم يقل كلمة " لهاينريش بول نفسه، وقد قرأناها قبل سنوات بترجمة الشاعر ياسين طه حافظ، كذلك برواية " طبل الصفيح " لغونتر غراس، وروايات ماريا ريمارك "الرفاق الثلاثة" و"ليلة لشبونة "و"للحب وقت، للموت وقت "ففي خلفية الصورة نجد الملابسات التاريخية التي أفضت إلى صعود النازية، وما عاشه الألمان من هوس بالحرب، وأوهام القوة والتفوق، ومن ثم الاصطدام بالواقع المريع، وحصول الاضطراب والتمزق.

وإذا كانت رواية " ولم يقل كلمة " تصور ضياع الإنسان الخارج من الحرب، الذي يجد نفسه فجأة بلا سند في عالم مخرب مادياً وروحياً فإن رواية " صورة جماعية مع سيدة "تفعل الشيء ذاته، ولكن بمديات أوسع، المجتمع برمته يخرج، ها هنا، من الحرب ليرى أنه خسر كثيراً، وتهشمت قيمه. فما زال القلق يعشش في النفوس، كذلك الخوف من المجهول.. إنها رواية عن الحب والشجاعة والطيبة والإخلاص في جانب منها، وهي أيضاً في جانبها الآخر الأشد وضوحاً رواية عن القسوة والندم، عن النفاق الاجتماعي والسياسي، عن الخسة والدناءة، فالكاتب سعى إلى اختزال مأساة الحرب فنياً من خلال حيوات شخصيات بعينها، ومصائرها. وعبر التفاصيل الدقيقة يمارس الكاتب فعل التعري والكشف عن بقايا الدناءة والزيف والتشوه الروحي والنفاق والازدواجية، التي هي نتاج المرحلة النازية.. أي كل تلك المظاهر والمضمرات التي أدت إلى الدمار الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي، ولا تزال بهذه الدرجة أو تلك فاعلة، ومهددة.. أي أنه يمكن قراءة هذه الرواية من زاوية ذلك الخوف والتوجس الذي ينتابنا نتيجة توقعنا إمكانية عودة النازية مرة أخرى بقوتها الكاسحة، المخربة.

إن ليني غروتن هي ضحية النفاق الاجتماعي وسوء الظن والأنانية وقد طبع سلوك الشريحة البرجوازية التي شوهتها مواضعات العهد النازي بعدما ترك في روحها شروخاً وتناقضات وتشوهات لن تشفى منها حتى زمن طويل.. تزوجت ليني من رجل لم تعش معه سوى ثلاثة أيام ليغادر من ثم إلى جبهة الحرب ويقتل هناك. وإبان الحرب أقامت علاقة مع أسير حرب روسي " بوريس " ، في مناخ خانق واجهته بجرأة، لتنجب منه . من الروسي . طفلاً غير شرعي . ليف . سيكون هو الآخر . أي الطفل . ضحية ذلك المناخ ليموت والده في ظروف ملتبسة، مع نهاية الحرب، وتورطت ليني في علاقة غير شرعية أخرى مع محمد . المهاجر التركي، عامل الأزبال . الساكن مقابل إيجار في بيتها، وحملت منه.

ليني متمردة، شجاعة، قليلة الكلام، وتقدم على الفعل في اللحظات غير المتوقعة.. ليني لم تدجنها آلة الحرب النازية، وبقيت عصية، غير مطواعة، وقادرة على المناورة والاستمرار في العيش، على الرغم من شياطين الموت المتربصة في كل مكان. ولقد جازفت في اختراق التابوهات الموضوعة، معرضة نفسها للخطر في أكثر من مناسبة، لا لأنها قررت اتخاذ موقف سياسي، وإنما لأنها ما كانت تفهم تماما المنطق الغريب للممارسة النازية، أو ربما لم تكن تدرك مدى الخطر الذي يحيق بها، وكانت في كل مرة تخرج من دائرة التهديد بفعل المصادفة أو الحظ، أو لأي سبب آخر. وما علاقتها براحيل الراهبة ذات الأصول اليهودية وبوريس الأسير الروسي إلا مثالان من عدد آخر من الأمثلة الدالة على كونها صعبة المراس، تمتلك جرأة فطرية، وتسلك، على الرغم من كل شيء، على وفق ما يروق لها، وهي تذكرنا بشخصية " سكارلت أوهارا " في رواية " ذهب مع الريح "لمارغريت ميتشل التي تختلف أيضاً في شخصيتها مع ليني في جوانب أخرى، فكلتا الشخصيتين تتحدر من عائلة من الطبقة الوسطى، غنية ستفقرها الحرب، وكلتاهما فقدت أقرباء أعزاء بسبب تلك الحرب، وكلتاهما وجدت نفسها في معترك التجربة الصعبة رغماً عنها. وبالمقابل، ليني كتومة، صموتة، وفي الأغلب غير محبوبة من قبل الآخرين، فهي روح نافرة، غامضة.. إن علة صدود الآخرين عنها تعود إلى طبيعتها هي نفسها، أو عدم فهم الآخرين، من المحيطين بها، لها، وربما أيضاً عدم فهمها لهم.. نقرأ في الرواية؛ ((إن ما يظهر جلياً من أقوال الأشخاص الذين هم مصدر المعلومات هو أن ليني لم تعد تفهم العالم، فهي تشك إذا كانت قد فهمته من قبل، ولا تفهم عداء البيئة، ولا تفهم سبب حنق الناس عليها ومجافاتهم لها. فلم تقم بعمل منكر ولم تسئ إليهم أيضاً. وفي المدة الأخيرة ومنذ عهد غير بعيد، وحين تغادر منزلها مضطرة إلى ابتياع حاجاتها يجهر الناس بالهزء والسخرية منها وينعتونها بعبارات وألفاظ ما زالت تعد من العبارات والألفاظ الأخف والألطف من مثل " امرأة رذيلة " أو "مرتبة بالية " " مفرش بال ")) ص ٣٠ .

❖(صورة جماعية مع سيدة) رواية هاينريش بول . ترجمة؛ صلاح حاتم.. دار المدى للثقافة والنشر. سورية ط١/ ٢٠٠٢ .

نعوم بغدادي

محمد الحمراني

لم أعلم انه سيموت، لذا لم أفكر في كتابة مرثية له،... كان يتوقع ان حياته ستدوم طويلا.. فروى لي حكايات قوم لوط ومغامرات وأخبار (عوج بن عنق) ... كان مغامراً... يعشق فتيات القرى ويمضي أياما مع رجال ونساء من قرى مختلفة، وعلى الرغم من انه ولد في كوخ من القصب... فقد امضى سنوات طويلة في منازل اليهود والارمن في بغداد وله ذكريات مع الزعيم عبد الكريم قاسم قبل ان يصبح زعيما... يجلس معه قرب نهر دجلة ليلعبا الدومينو... الزعيم يومها كان ملازماً وكان هو يبيع الرقي في سوق حمادة. امضى اياما يعمل مغنياً في فترة الحصاد، وفي اخر النهار يحصل على "صرة" من الشلب لجهوده في تفعيل الهمم... ترك عائلته حين اكتشف انه الوحيد الذي يجيد الحساب في القرية وعمل سركالاً لخمسة اعوام.. وحين نفق حصانه... ذهب إلى طهران ثم عاد إلى الكويت وعمل في " القجق" ... كان الريفيون ينتظرون بضاعته من "الراديوات" .. كان يعتقد بأن الحياة اغنية ولهذا اراد ان تسجل اغنيته مع الاغاني... اخفى قصبة من الكوخ الذي ولد فيه وصنع منها ناياً... كلما يبدأ المطر بالهطول وتشتد الرياح يعزف الحانه فتصل النغمات إلى من ضيعتهم الرياح بين غابات القصب... كان يقول ان الموت لا يصل إلى المغني وان ملك الموت يستمع جيداً ويفهم ان نهاية العالم تشبه نهاية النغمات ... ولكن من بأمكانه ان يقطعها؟ لم اعلم انه ممكن ان يرمي نايه مع الامواج وتستمر الامواج بعزف الالحان... انها قصبته؟ التي كان يتكئ عليها. بعد ذلك عمل لسنوات سائقا ما بين الكرخ والرصافة ولكنه في النهاية عشق ابنه الحاج ذنون وحين تقدم لخطبتها طرده ابوها ، لانه مغنٍ وزوجها إلى فائق باشا مراد...صاحب معمل جكليت "الباشا" وبقي وحيداً يتسكع في الجعيفر والشاكرية.. يذهب إلى اصدقائه في الفضل، وحين يتحسس ألم التشرد.. يتذكر طفولته في الأهوار ويتحسر ، لأنه لم يتزوج من "نوعة بنت خريبط" حبيبته الاولى، فتأخذه الاقدام إلى مقهى "ناصر حكيم" في علاوي الحلة... ويستمع إلى غناء يعيده إلى سنوات الطاعون والبلهارزيا ... يتذكر اصابع جدته التي اكلها الجذام ويتحسس صوت امه "ساعدية" وهي تغني اثناء رعيها الجواميس، وحين غنى هو اللون ذاته... الذي كانت تغنيه... اطلق ابناء القرى على هذا الطور " الساعدية" كان ينام ليالي طوالاً في بيوت الاقطاع ولكنه طرد في النهاية، لانه كان يغني عن هموم واحزان الفلاحين، كان طويلا وله عينان واسعتان ، حين شاهده " غافن يونغ" طلب منه ان يذهب معه إلى بريطانيا، ليصبح احد نجوم السينما... عضلاته تربت على ارغفة الرز و "الفوح" والتمر واعتاد منذ طفولته على ان لا يأكل السمكة التي تصطادها الشبكة اذ ان اباه علمه على الصيد بالفالة وكان مشهداً مدهشا " لغافن يونغ" ان يشاهده يطعن سمكة كبيرة وهو منتصب في وسط الزورق، وحين اصر على الذهاب مع "غافن يونغ"، اقنعه وجهاء القرية، ان هذا الانكليزي يريد ان يمارس اللواط معه فترك هذا الموضوع. وبعد مدة هرب إلى بغداد في باص خشبي لاسباب مجهولة، استمرت رحلته أكثر من سبعة أيام، اعانه المتاع، الذي اعطته له امه، وحين وصل بغداد ذهب إلى خاله في منطقة الشاكرية، طرق بابهم الصفيحي بعد الحادية عشرة ليلاً وحين فتح خاله الباب قال له انه لا يعرفه وكذلك لا يعرف امه وطرده .

نام تلك الليلة عند عتبة باب خاله وفي الصباح ذهب إلى سوق حمادة... كان يعتقد بأن شركة (جقماقجي) ستأخذ بيده مثلما اخذت بيد مسعود العمارتلي وناصر حكيم وحضيري ابو عزيز، ولكن ماذا يفعل بابنة ذنون السامرائي، التي الهبته بحبها حين شاهدها اول مرة تتبضع في السوق؟ بدأ يتردد على منزلهم وكانت هي تتكلم له عن اسطنبول و دمشق وارغمته على ان يصبح افنديا. كان يسكن في نزل في منطقة الجعيفر وهذا ما جعل ابناء المحلة يطلقون عليه تسمية نعومي الشقي ... قبلها كان اسمه نعومي فقط ولكن اخافهم طوله وفخامة عضلاته وقسوته. كان يغني لابنة ذنون سراً ويعتقد انه يغني امام العالم بأجمعه، قريته لم تكن فيها مدرسة وهذا ما جعله يمضي طفولته أمياً ولكن (سنية بنت ذنون) كانت تجد فيه كل مواصفات فتى الاحلام فعيناه واسعتان وفمه صغير ووجهه ذو استدارة تشبه استدارة التماثيل .. . منها تعلم القراءة والكتابة فحفظ قصائد جميل صدقي الزهاوي وغناها في ملهى عطور. صاحب الملهى اطلق عليه اسم نعوم بغدادي وقال له انت من سيحطم محمد القبنجي.. لم يحالفه الحظ بأن يسجل اي اسطوانة ولكن اغلب كبار السن يحفظون اغنياته، التي كان يرددها في ختان الاطفال والاعراس والمناسبات الوطنية، وفي لقاء معه في جريدة المحرر البغدادي قال بان المغني لا يموت وليس بامكان احد ان يكتب مرثية له. انا الآن لا اكتب عنه أي شيء... فنعوم بغدادي .. هو الذي كتب حياته على شكل اغنيات وتركها تتجول في الهواء فربما ستصل في يوم ما إلى كوخه حيث ولد... حينها ستعرف امه بانه في بغداد ولم يعد يأكل "الثريد" واصبح من المدمنين على "الباجة" وستستمع إلى الاغنية التي يقول مطلعها:

درب أبغداد نلزم لزموه الخيالة
اهل الشطا في الحمر والعقل مياله

... الريح بامكانها ان تفعل اشياء مثل هذه مادام بأمكانها ان تنقل الصوت .. فلحظة نقل الصوت هي رغبة في دمج زمنين . وانا في بداية عام ٢٠٠٥ اخذتني النسمات إلى سنوات بعيدة والى رجل لا اعرفه جيداً ولكنني قرات لقاء معه في جريدة قديمة. ربما صوت الريح هو الذي كتب فقرات عبثية، لحظات غير مؤكدة من حياة المغني نعوم بغدادي. انها ورقة اولى في هذه الحكاية وبأمكان الاوراق ان تستمر ولكن الريح انقطعت ولم اعد استمع جيداً إلى صوتها. وقوي الان بجوار قبر لا توجد عليه شاهدة ربما هو الذي ملأني بهذه الازمنة المتعددة فكان كل ما يربطها هو التخيل.

حلقة نقاشية عن التعددية والحرية في المنظور الاسلامي

ازدحمت الأدبيات السياسية بمفردات ومصطلحات قيمية من قبيل التعددية والتعددية السياسية والحرية والحرية السياسية، وأخذت مساحة واسعة من تفكير المثقفين والزعامات الحزبية والسياسية في العالمين العربي والاسلامي.

ترى كيف تعاطى الاسلام مع مفردتي التعددية والحرية؟

كان هذا محور الحلقة النقاشية التي جرت في الثالث من اذار (مارس) في مقر الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية في لندن، حيث استعرض الباحث العراقي نضير الخزرجي الذي يحضر لنيل درجة دكتوراه فلسفة في الدراسات الاسلامية عن موضوعة (شرعية قيام الاحزاب في الاسلام) استعرض جوانب عدة من بحث التعددية والحرية.

في البدء اشار الاستاذ في الجامعة الاسلامية الدكتور عبد الكريم الزبيدي الى اهمية عقد الحلقات الدراسية والنقاشية بوصفها تستعرض بحثا علميا يراد منه الوصول الى حقائق علمية وقطف احسن النتائج، ثم تطرق الى التعددية السياسية والحرية في المدرستين الغربية والشرقية، مؤكدا ايلاء الاسلام الحرية اهمية كبرى، معرجا على التعددية كمفهوم سياسي برز في الادبيات الغربية، ووضع التعددية السياسية في العالم الاسلامي.

وقدم الباحث نضير الخزرجي تصوره عن المنهج الذي بحث فيه موضوع التعددية والحرية بوصفه من الموضوعات التي برزت الى الساحة الاسلامية في وقت متأخر ويحتاج في تأصيله الى معاينة النصوص وتجارب السلف وفتاوى المتشرعة، ولهذا سار في بحثه في اطار: "المنهج التاريخي يغذيه المنهج النقلي والمنهج المقارن، مع اجراء توثيق واستقراء وتحليل للنصوص".

وخلص الباحث الى ان النصوص الشرعية واقفة على اقرار بالتنوع والاختلاف والتعددية بأشكالها المختلفة ومنها التعددية السياسية، وان القول بالتعددية يفضي بشكل انسيابي الى القول بالحرية واصالتها ومنها الحرية السياسية باشكالها المختلفة، فالتعددية السياسية وهي من صور التعددية تنفتح على حرية سياسية، اذ لا تعددية سياسية من غير حرية سياسية، ولا حرية سياسية من غير تعددية سياسية.

بعد ذلك فتح الباب لمناقشة الباحث وابداء الملاحظات والمداخلات، فقال الاستاذ الجامعي الدكتور عبد الحسن السعدي في مداخلته ان التعددية السياسية والحرية من الموضوعات الحساسة في نسيج تفكير امتنا الاسلامية وان الحرية السياسية انما هي خادمة للحريات المدنية. ووجد الاستاذ الجامعي الدكتور طارق نجم عبد الله انه بالامكان دراسة التعددية السياسية كحالة مستقلة عن الحرية ولا ترابط بين الاثنين، ولكن الدكتور السعدي خالفه الرأي في ذلك. فيما رأى عميد الدراسات العليا في الجامعة الاسلامية الدكتور ابراهيم العاتي ان التعددية الحزبية تعبير عن تعددية في الرأي، وان الحديث عن التعددية في الكون ومحيطه يجرنا الى موضوع الحتمية حيث يرى البعض ان الكون هو سلسلة من الحتميات، واستعرض العاتي في مداخلته الاساس الفلسفي للحرية بلحاظ الجبر والتفويض والامر بين الامرين، والاخير تقول به الامامية، اذ: "لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين" كما يقول الامام جعفر بن محمد الصادق (ع).

كما قدم عدد من الباحثين وطلبة الدراسات العليا في الحلقة النقاشية استفسارات ومداخلات منهم: صلاح مهدي تكمه جي (العراق)، مشير كلالي (العراق)، هه له ت هماوندي (العراق)، هاني السباعي يوسف (مصر)، عمار حسين عباس (العراق)، كريم المحروس (البحرين)، فيصل مرزوق العلوي (البحرين) والباحث عبد الاله حسن (العراق).

أسئلة مشروعة بشأن معرض جامعة بغداد في عمّان

المحرر الثقافي

بمشاركة ٣٠٠ دار نشر عربية اقامت جامعة بغداد العريقة معرضاً للكتاب في العاصمة الاردنية عمان ابتداء من يوم الخميس الماضي. ويستمر هذا المعرض لعشرة أيام، وذكر موظف في مؤسسة مؤاب المشرفة على المعرض ان ٦٠ دارا أردنية للنشر قد شاركت في المعرض.

بدا الامر للمتابعين الخبر غريبا. فما معنى ان تقيم جامعة بغداد معرضا للكتاب في الاردن بدلا من اقامته داخل العراق. ما هي الاسباب التي دفعت الجامعة لاقامته خارج العراق، ومن هنا توالت اسئلة اخرى عن المعرض: ما الهدف من سفر الاساتذة المشرفين على المعرض؟ ما هي الكلفة التي ستدفعها الجامعة لنجاح هذا النشاط؟ من هي الجهات المستفيدة حقا من اقامة مثل هذا المعرض؟.

نردد هذه الاسئلة ونعلم ان مكتبات جامعة بغداد بحاجة ماسة للمراجع والمصادر، فماذا لو صرفت هذه الاموال على استيراد المصادر والكتب لمكتبات جامعة بغداد التي تعاني من نقص حاد في مكتباتها؟

ولماذا تعرض دور نشر عربية وأجنبية فضلا عن الدور العراقية نتاجاتها وثمار مطابعها في العاصمة الاردنية باسم جامعة بغداد بينما الامر برمته عراقي صرف والهدف منه فائدة المكتابات العراقية واعادة اعمار مكتبات جامعة بغدادن و اطلاع الاكاديمي و الطالب العراقيين على اخر الكتب.

ترى كيف ستتوفر فرصة اطلاع القارئ العراقي على هذه الكتب؟ كيف يمكن توفير فائدة مباشرة المكتبات جامعة بغداد .اسئلة تتوالى تبحث عن اجابة شافية.

هل ان الامر صفقة من الصفقات التي تحدث في هذا الزمن الرمادي الذي يشوش النظر والحكم؟

ربما يفكر البعض ان الوضع الامني هو السبب الذي دفع الجامعة لاقامته في عمان، في الوقت الذي يمكن اقامته في كردستان او البصرة لتلافي الوضع الطارئ الذي نعيشه وهو أمر يمكن ان يمد الجسور بين جامعات العراق عموماً لاعادة بناء الجامعة العراقية ومكتباتها. علما ان الوزارة قد تلقت فعلا مثل هذا العرض من قبل.

انها مجرد اسئلة عن الاموال التي تتطلبها اقامة هذا المعرض خارج العراق، خاصة وان جامعة بغداد تتوفر على تجربة ممتازة في اقامة المعارض ولها تاريخ معقول في هذا الصدد ، وتصرفت ايام الحصار في ظل الوضع السابق . بما يوفر المال والجهد وتفننت في توفير الأموال أبان الوضع السابق إلى الحد الذي دفعها لإقامة معارض للكتب الجامعية ذات الطباعة المتواضعة والفقيرة بهدف توفير العملة فلماذا لا تجتهد هذه الأيام في توفير المال والبلد يمر بظروف قاسية؟

والسؤال الملح: كم ربح المثقفون العراقيون من هذا المعرض؟

وكم ربح الطالب والأكاديمي والقارئ والجامعة عموماً من هذا المعرض؟

وكم ربح القائمون عليه ؟

وكم خسرنا من الجهد والمال في خطوة يبدو انها لم تدرس او يخطط لها بدقة. هذا اذا لم يكن الامر برمته صفقة كبيرة تسهم في نزف المال العراقي الذي يبذر هذه الايام بلا هوادة .